ـ مسيحية اخذت تطالب بعدم فصل فلسطين عن سوريا «... وان تكون متحررة من جميع انواع النفوذ والحماية الاجنبيين» (ص ٣٠). وفي الذكرى الاولى لوعد بلفور، نظمت مسيرة احتجاجية في القدس، كانت بمثابة الحلقة الاولى في سلسلة اخذت تمتد كل عام، وما زالت، احتجاجاً على تصريح بلفور. وتلا ذلك عقد المؤتمر العربي الفلسطيني الاول في بداية العام ١٩١٩، ليشكل، ايضاً، الحلقة الاولى في سلسلة المؤتمرات الوطنية الفلسطينية. وفي العام ١٩٢٠، اخذ النضال الوطني الفلسطيني، للمرة الاولى، شكل الكفاح المسلح، وبخاصة في منطقة الجليل، حين تمكنت مجموعات فلسطينية مسلحة من اقتحام مستوطنتي تل حاي وكفار غلعادي والسيطرة عليهما (ص ٣٣)، لتندلع، بعد ذلك، تظاهرات ما لبثت ان تحولت الى اشتباكات دموية في القدس. وبعد مضي قرابة عام، تجددت التظاهرات العربية في مدينة يافا، وتحولت الى اشتباكات دموية اتسع نطاقها لتشمل عدداً من المستوطنات اليهودية (ص ٥٢).

اما دور الفريق البريطاني، فقد تمثل في التصدي للمطالب العربية كافة، ولحالة النهوض الوطني للشعب الفلسطيني، وسن القوانين والتشريعات بهدف تثبيت الانتداب وتسهيل بناء «الوطن القومي اليهودي». وتم، في هذه الفترة، تعيين هربرت صموئيل أول مندوب سام على فلسطين.

تمكن النشاط الصهيوني من احراز تقدم في عدد من المجالات المختلفة. فقد تم في هذا الفترة:

١ ـ تأسيس الهستدروت كـ «نقابة عامة للعمال اليهود في ارض ـ اسرائيل» من خلال المؤتمر التأسيسي من ٥ ـ ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠، وذلك بهدف ترسيخ اقدام «مجتمع العمل اليهودي في ارض ـ اسرائيل». وهي بمثابة مؤسسة اقتصادية ضخمة، كان لها، وما زال، دور كبير، ليس فقط في هذه الحقبة الخاضعة للدراسة، وانما، ايضاً، في الحقب اللاحقة، في بلورة البيشوف اليهودي، ومن ثم المجتمع الاسرائيلي (ص ١٢١ ـ ١٢٨).

وقد رأى المؤلف ان انجازات الهستدروت لم تتأت، فقط، بفضل وضوح اهدافها او اتساع نشاطها، وانما، ايضاً، «بفضل زعامة عمالية ديناميكية وبراغماتية...»، وعلى رأسها دافيد بن غوريون، الشخصية البارزة في حزب احدوت هعفوداه، والذي وصف الهستدروت بأنها «... قلب حركة بعث الشعب اليهودي، ومركز حركة الدم في شرايين بعثنا القومي والاجتماعي، ذلك المركز الذي تتجه اليه، بأنابيب خفية ومستورة، كل تيارات النشاط والحياة في جسم الأمة الناهض، ومنه توزع وتستوعب في النسيج الجديد لبناء مستقبلنا في البلد. ان حركتنا، حركة العمال اليهود في ارض ـ اسرائيل هي العصارة المكثفة للفوران الكبير، القومي والاجتماعي، الذي ايقظ الشعب اليهودي في عصرنا، وترددت اصداؤه في الحركة الصهيونية وحركة العمال اليهودية» (ص ١٢٧ ـ ١٢٨). ومن اللافت للنظر، وان لم يكن من الواضح، وضع صفة الرفيق بجانب اسم بن غوريون بين هلالين (انظر ص ١٢٧ و ١٦٣). حين يتحدث المؤلف عن «الرفيق» بن غوريون او «الرفيق الأمين العام» علماً بأن عضو الهستدروت او الاحزاب العمالية يحمل صفة «حافير»، اي رفيق. وربما جاء تشديد الكاتب على صفة «رفيق» كغمز من قناة بن غوريون لتخليه، فيما بعد، عن موضوعة الصراع الطبقي التي كان يرفع رايتها في ذلك الحين.

٢ ـ تأسيس منظمة الهاغاناه في حزيران (يونيو) ١٩٢٠، حيث ضمت المنظمة الجديدة عناصر منظمة هاشومير، وكذلك اعداداً من عناصر الكتائب العبرية التي كانت انشئت خلال الحرب العالمية الاولى، وانيطت بها مهمة الاشراف على المنظمة العسكرية في الهستدروت (ص ١٣٩ ـ ١٤١).

٣ ـ التوسع في استملاك الاراضي. فقد بلغ مجموع ما استملكه الصهيونيون خلال الفترة الواقعة بين ١٨٨٢ ـ ١٨٨٤ قرابة ٤٢٠ ألف دونم، اي حوالى ١,٥٩ بالمئة من مساحة فلسطين. وارتفعت رقعة الاستملاك هذه، خلال الفترة الواقعة بين ١٩٢٠ ـ ١٩٢٢، لتصل الى ٥٩٤ ألف دونم، ولتحتل نسبة ٢,٢٥ بالمئة من مساحة فلسطين (ص ٢٨٠). ويلاحظ المؤلف ان «معظم الاراضي التي استملكها الصهيونيون في فلسطين، خلال هذه الفترة، او بعدها، مثل كل الاراضي التي كانوا قد اشتروها قبل دخول البريطانيين الى البلد، كانت بيعت لهم من قبل كبار الاقطاعيين او الملاكين الاجانب القاطنين خارج فلسطين» (ص ١٣٢).

٤ ـ التوسع في المجال الاستيطاني. فقد شهدت الفترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٣ بروز ٢٣ مستوطنة، بين كيبوتس وموشاف وبلدة، اضيفت الى ٤١ مستوطنة كانت اقيمت طوال الفترة السابقة للنشاط الصهيوني (ص ١٣٤